AL-TAKAMUL AL-MA'RIFI | JUNE 2020 | VOL. 3 ISSUE 1
ISSN: 2716-6899 | E: ISSN: 2716-6902
www.al-takamulal-marifi.my

المنهج الإشاري في التفسير: الألوسي نموذجا

THE METHODOLOGY OF TAFSIR AL-ISHARI: AL-ALUSI AS A MODEL

Mohd Amirul Hassan Ahmad Tajuddin
Jabatan Usuluddin, Fakulti Pengajian Islam,
Universiti Islam Sultan Azlan Shah,
Bukit Chandan, 33000 Kuala Kangsar, Perak, Malaysia
E-mail: amirulhassan@usas.edu.my

الملخص

يهدف هذا البحث إلى معرفة المنهج الإشاري الذي اعتمده الألوسي في تفسيره روح المعاني ومدى التزامه بالضوابط التي وضعها العلماء في التفسير الإشاري. والمنهج الذي اختاره الباحث هو المنهج التحليلي في تحليل الآيات التي فسرها الألوسي على المنهج الإشاري لكي يُعرف مدى صلاحيته في تفسير القرآن الكريم. ومن نتائج البحث أن الألوسي قد التزم بالضوابط التي وضعها العلماء في تفسير القرآن على المنهج الإشاري. وهذا البحث يساعد على معرفة المفاهيم الصحيحة في التفسير الإشاري الذي كثر اعتماده لدى المجتمع حينما قاموا بتفسير القرآن.

الكلمات المفتاحية: التفسير الإشاري، روح المعاني، الألوسي، التفسير بالرأي.

Abstract

This study aims to study Method of al-Ishari which is considered as one of the methods in interpreting the Quran. The researcher selected the Book of Tafsir, Ruh al-Ma'ani authored by al-Alusi in examining his method of interpretation verses related to Tafsir al-Ishari. This study uses an analytical method to analyze the interpretations of the Quran in the Book of Ruh al-Ma'ani to examine whether it is in line with the conditions imposed by scholars in the use of Tafsir al-Ishari. The results of the study found that the interpretations related to the Tafsir al-Ishari studied in this book meet the requirements set by scholars. This study can

provide guidance and a true understanding of the Tafsir al-Ishari in the Quranic interpretation for researchers who wish to interpret the Quran using this method.

Keywords: *Al-Tafsir al-Ishari, Ruh al-Ma'ani, al-Alusi, al-Tafsir bi al-Ra'yi.*

المقدمة

إن استعمال المنهج الإشاري في تفسير القرآن الكريم قد اختلف العلماء في جوازه. التفسير الإشاري لا يخلو من حالين إما الخطأ في الاستدلال بآيات القرآنية حتى تؤدي إلى معاني باطلة كفرية وإما العدول عن ظاهر اللفظ إلى معنى صحيح في ذاته والذي لا يصح اعتباره كتفسير القرآن (Hasan, 1421H)

وانطلاقا من هذا الأساس، قام الباحث بدراسة منهج التفسير الإشاري عند الألوسي في كتابه روح المعاني حتى يتبين أهو من قبيل التفسير بالرأي المحمود الذي يلتزم بالضوابط الشرعية أم هو من قبيل التفسير بالرأي المذموم الذي لا يلتزم بالضوابط الشرعية. فإن تبين أن تفسيره من قبيل التفسير الإشاري المحمود فلا حرج في الاستفادة منه، والاعتماد على المعاني التي استخلصها من الآيات القرآنية.

أسئلة البحث

1- ما المنهج الإشاري؟

2- ما موقف العلماء قديما وحديثا تجاه المنهج الإشاري في تفسير القرآن وما ضوابطهم؟

3- كيف فسر الألوسي القرآن تفسيرا إشاريا في تفسيره روح المعاني؟

4- هل التزم الألوسي بالشروط والضوابط التي وضعها العلماء في تفسير القرآن على المنهج الإشاري؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1- معرفة المنهج الإشاري في تفسير القرآن.

2- بيان موقف العلماء قديما وحديثا تجاه المنهج الإشاري في تفسير القرآن وبيان الشروط والضوابط فيه.

3- معرفة مدى اعتماد الشيخ الألوسي على المنهج الإشاري في تفسيره روح المعاني.

4- بيان مدى التزام الألوسي بالشروط والضوابط التي وضعها العلماء في تفسير القرآن على المنهج الإشاري.

منهج البحث

المنهج الذي اختار الباحث في كتابة هذا البحث منهجين هما:

1- المنهج الوصفي التاريخي، حيث اهتم بتاريخ التفسير الإشاري منذ نشأته إلى أن شاع بين المفسرين.

2- المنهج التحليلي، يهتم بجانب تحليل أدلة القائلين بالتفسير الإشاري والمانعين له.

حدود البحث

1- يقتصر هذا البحث على المنهج الإشاري دون غيره من المناهج التفسيرية وإن كان الألوسي فسر القرآن بطرق عديدة.

2- وكما يقتصر هذا البحث على منهج الألوسي دون غيره ممن سلكوا منهجا إشاريا في التفسير.

هيكل البحث

قسم البحث إلى أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: التعريف بالمنهج الإشاري لغة واصطلاحا وبيان نشأته وأقسامه

المبحث الثاني: آراء العلماء في المنهج الإشاري في تفسير القرآن الكريم

المبحث الثالث: ترجمة الألوسي، اسمه ونسبه وحياته، حياته العلمية، أسباب تأليفه تفسير روح المعاني.

المبحث الرابع: منهج التفسير الإشاري لدى الألوسي في روح المعاني.

المبحث الأول: تعريف المنهج الإشاري لغة واصطلاحا وبيان نشأته وأقسامه

التعريف

المنهج الإشاري هو أحد المناهج القديمة في التفسير وهو من ضمن منهج التفسير بالرأي لأنه مبني على أساس النظر والاستدلال لبيان ما خفي من المعاني. وقد عُرِف هذا النوع من التفسير بأسماء متنوّعة، منها التفسير الباطني، والتفسير التأويلي، والتفسير العرفاني، والتفسير الشهودي، والتفسير الصوفي الفيضي، والتفسير الرمزي، وغيرها. وكل من هذه الأسماء تشير إلى نوع خاص من هذا التفسير. وقبل أن نخوض فيه، يجدر تعريفه تعريفا جامعا.

الإشاري لغة:- من أشار يشير إشارة أي تعيين الشيء باليد ونحوها، وتلويح بشيء يفهم منه المراد (Almaany, n.d.). ومنه نجد في قوله تعالى: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا.

ويقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: "الإشارة أبعد من مبلغ الصوت...حسن لإشارة من تمام حسن البيان..." (Al-Jahiz, 1423H).

أما في الاصطلاح فالإشارة تعني ما ثبت بنفس الصيغة من غير أن يساق له الكلام (Al-Jurjani, n.d.) ، أو أنْ يستفاد شيء من الكلام دون أنْ يكون موضوعا له.

إذا فالتفسير الإشاري، كما أشار إليه أ. د. فهد بن عبد الرحمن في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أي تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا (Al-Rumi, 1407H).

وقال الصابوني: التفسير الإشاري هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

نشأة المنهج الإشاري

المنهج الإشاري له مراحل في التطور حسب مرور الزمان. وقد اختلف العلماء متى بدأ هذا النوع من التفسير. فقال بعضهم بأنه بدأ في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه استدلالا بالآيات القرآنية وبالأحاديث بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة لا تصلح الاحتجاج بها وسوف نذكرها بالتفصيل في المبحث الرابع عند الحديث عن آراء العلماء تجاه التفسير الإشاري. وعلى كل حال، فقد شاع استعمال هذا المنهج عند الصوفيين منهم محمّد سهل بن عبد الله التستري (283هـ)، والسُّلَميّ (412هـ)، والقشيري النيسابوريّ، ولد في نيسابور (376هـ)، وإسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ بن محمّد الأنصاري الهروي (481هـ)، وابن عربي (638هـ)، ومحمّد الشيرازي (666هـ)، ونجم الدِّين داية (654هـ)، وعلاء الدِّين السمناني (736هـ)، وشهاب الدين الألوسي (1270هـ) وغيرهم رحمهم الله أجمعين. لذلك نستطيع القول بأن التفسير الإشاري له علاقة وثيقة بالصوفيين حتى سماه بعض العلماء بالتفسير الصوفي. ومنهم من كثر عندهم التفسير الإشاري وغالوا فيه حتى تجاوز عن حده ومنهم من توسط. وسوف نذكر هذا الموضوع بالتفصيل في المبحث الثالث عند الحديث عن أقسام التفسير الإشاري إن شاء الله.

أقسام التفسير الإشاري

وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والمحقّقين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه. فهناك من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التأويل والباطن. ولتوضيح هذه المسألة قسمنا المنهج الإشاري إلى قسمين وهما المنهج الإشاري المحمود والمنهج الإشاري المذموم. وبيانهما كما في النقاط الآتية:

منهج التفسير الإشاري المحمود

التفسير الإشاري المحمود هو من قسم التفسير الإشاري الذي توافرت وتحققت فيه شروط التفسير بالرأي وضوابطه. وسوف نذكر كل الشروط التي اشترطها العلماء والمحققون في قبول التفسير الإشاري في المبحث الرابع إن شاء الله. ومن أمثال التفسير الإشاري المحمود:

1- تفسير روح المعاني للألوسي

2- تفسير النيسابوري

منهج التفسير الإشاري المذموم

التفسير الإشاري المذموم هو من ضمن التفسير بالرأي المنحرف الذي رفضه العلماء من أهل السنة والجماعة. وهذا النوع من التفسير مبني على أساس تأويل آيات القرآن دون مراعاة القواعد والضوابط المعروفة للوصول إلى الباطن أو الاستفادة من القرائن النقلية أو العقلية. ويمكن تقسيم هذه الطريقة إلى عدة أنواع (Ma'bad, 1426H):

1- التفسير الإشاري الفيضي:

وفي هذه الطريقة يستفيد المفسر من طريقة الكشف والشهود العرفاني والتجليات القلبية في تفسير القران متجاوزا حدود الظاهر. ويدعي بعض المؤيدين لهذا المنهج انهم يقبلون التفسير الظاهري أيضا بالإضافة إلى التفسير الإشاري. وقد نسبت هذه الطريقة من التفسير الى الصوفية والعرفاء.

2- التفسير الإشاري النظري:

وهنا يقوم المفسر باستخدام المباني النظرية للعرفان النظري او التصوف النظري في تفسير آيات القرآن متجاوزا حدود الظاهر دون وجود أي قرينة عقلية أو نقلية على هذا التأويل أي أنه لا يراعي ضوابط التأويل والحصول على البطن وفي بعض الأحيان يدعي عدم وجود غير هذا المعنى من التفسير.

3- التفسير الإشاري للباطنية:

وهذا أشنع وأقبح الطرق عند من يدعي بتأويل القرآن لأنهم أنكروا ظواهر القرآن الكريم والشرع المقدس وقالوا إن المقصود الحقيقي للقرآن هو الباطن فقط وذهبوا إلى إنكار شريعة الله من

ISSN: 2716-6899 | E: ISSN: 2716-6902
www.al-takamulal-marifi.my

العبادات والعقائد وغيرها. وقد نُسبت هذه الطريقة إلى غلاة الصوفية والفرق الشيعية كالرافضة، والإمامية الإثنا عشرية، الإمامية الإسماعيلية وغيرهم.

أشهر المؤلفات في التفسير الإشاري

وقد ذكر أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر أن المفسرين السابقين قد انقسموا في تفاسيرهم من ناحية التفسير الإشاري إلى خمسة أقسام، ولكننا اختصرنا إلى أربعة أقسام فقط وهي (Al-Rumi, 1407H):

الأول: من التزم في أكثر تفسيره التفسير بالظاهر مع إشارات قليلة إلى التفسير الإشاري، ومثاله تفسير النيسابوري، وتفسير الألوسي.

الثاني: من جعل غالب همه في التفسير الإشاري، لكن يضيف إليه بقلة التفسير الظاهر، كتفسير سهل التستري.

الثالث: من جعل همه كله في التفسير الإشاري ولا يشير مطلقا إلى التفسير الظاهر، كتفسير أبي عبد الرحمن السلمي.

الرابع: من جمع بين التفسير الإشاري والتفسير الصوفي النظري مع الإعراض كل الإعراض عن التفسير بالظاهر، وذلك كتفسير ابن عربي.

المبحث الثاني: موقف العلماء في المنهج الإشاري في تفسير القرآن الكريم

نظرا بأن التفسير الإشاري من ضمن التفسير بالرأي لذلك نجد أن العلماء قد اختلفوا من قديم الزمان في جوازه، فمنهم من منعه مطلقا (و)اعتبره ليس تفسيرا وإنما قولا بدون علم، ومنعه الشارع ومن فعله فهو آثم. ومنهم من أباحه مطلقا وأجاز تفسير القرآن بالرأي والعقل والإشارة بدون شروط ولا ضوابط ولا معايير. ونحن سنذكر أدلتهم ونناقشها في النقاط التالية:

المانعون مطلقا

من العلماء الذين منعوا التفسير بالرأي أو التفسير الإشاري: أبو حيان الأندلسي في مقدمة تفسيره (البحر المحيط)، والإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات)، وجمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل)، ومحمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير). ومن أدلتهم في منع التفسير الإشاري باختصار (Al-Khalidi, 1433H):

1- التفسير الإشاري من ضمن التفسير بالرأي حيث أنه قول على الله بلا علم، وهذا منهي عنه في القرآن. قال الله: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (سورة الإسراء: 17: 36)

2- جعل الله بيان القرآن لرسوله ﷺ، لذلك لا يجوز لغيره ﷺ أن يفسر القرآن برأيه وعقله. وهذا في قوله تعالى: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (سورة النحل: 16: 44) (Al-Qasim, 1415H).

3- نهي الرسول ﷺ عن تفسير القرآن بالرأي، وفي الحديث أخرجه الترمذي: عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ (Al-Tirmidhi, 1395H).

4- وردت آثار عن الصحابة والتابعين ينهون فيها عن التفسير بالرأي.

المؤيدون مطلقا

ذهب بعض المفسرين خاصة الصوفية منهم إلى تفسير الآيات القرآنية بالمنهج الإشاري دون مراعاة القواعد والضوابط والشروط في التفسير مما أدى بهم إلى تحريف الكتاب وعلى رأسهم محيي الدين بن عربي شيخ هذه الطريقة في التفسير. ومن أدلتهم في إباحة التفسير الإشاري مطلقا:

1- قوله تعالى: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (سورة محمد: 47: 24)، وقوله تعالى: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (سورة النساء: 4: 78).

2- ما أخرجه ابن حبان والطبراني عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ (ابن حبان، 1414ه: 276) (الطبراني، 1415ه: 105): «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ». وقد أضعفه الألباني برقم الحديث 1338.
.(Al-Albani, n.d.)

3- ما أخرجه البخاري عن ابن عباس أنه قال (البخاري، 1422ه: 4970): "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: "لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله"؟ فقال عمر: "إنه من حيث علمتم"، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: "ما تقولون في قول الله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" ؟ فقال بعضهم: "أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا"، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا. فقال لي: "أكذلك تقول يا ابن عباس"؟ فقلت: "لا"، قال: "فما تقول"؟ قلت: "هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابا"، فقال عمر: "ما أعلم منها إلا ما تقول".

4- ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال: "إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون" (Al-Shatibi, 1417H).

الأخذ بالشروط

وذهب المحققون في تفصيل الآراء بين المانعين مطلقا وبين المبيحين به مطلقا في التفسير الإشاري. واستدلوا على جواز التفسير الإشاري بنفس الأدلة التي استدل بها المؤيدون مطلقا ولكن مع الشرح التفصيلي والشروط والضوابط في قبول هذا النوع من التفسير. ولا بد لكل من يريد أن يقوم بتفسير القرآن حسب المنهج الإشاري أن يراعي يحذف الشروط التي وضعها العلماء وهي:

1- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية، وهذا ظاهر من قاعدة كون القرآن عربيا؛ فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا بإطلاق؛ ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه

وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلا إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله أولى من نسبة ضده إليه ولا مرجح يدل على أحدهما فإثبات أحدهما تحكم وتقول على القرآن ظاهر وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم.

2- أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض؛ لأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء (Al-Shatibi, 1417H).

3- ألا يكون تأويلاً سخيفاً بعيداً عن معنى الآية، كتفسير بعضهم قوله تعالى: وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (سورة العنكبوت: 29: 69)، حيث فسر (لمع) على أنها فعلاً ماضياً بمعنى أضاء، وكلمة (المحسنين) مفعولاً له (Al-Zurqani, n.d.).

4- أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم (Al-Qattan, 1421H).

5- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر (Al-Zurqani, n.d.).

تلك هي الشروط التي ذكرها العلماء لقبول التفسير الإشاري، وقد أجملها ابن القيم فقال:" وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: أولا تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون. وثانيا تفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وثالثا تفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم. وهذا لا بأس به بأربعة شرائط فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا وهي (Al-Jawziyyah, n.d.):

1- ألا يناقض معنى الآية.

2- وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.

3- وأن يكون في اللفظ إشعار به.

4- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

المبحث الثالث: ترجمة الألوسي

سلك المفسرون في تفسير القرآن واتبعوا منهجا معينا حسب خلفياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية. ويرى الباحث أن كل هذه الحالات أدت إلى تأثير طريقتهم في تفسير القرآن الكريم. لذلك نجد أن المفسر بخلفية سلفية يفسر القرآن تفسيرا أثريا والمفسر بخلفية صوفية يفسر القرآن تفسيرا إشاريا والفقيه حينما يفسر القرآن يفسره تفسيرا فقهيا حسب القواعد المعينة وما أشبه ذلك. ومن هنا تظهر أهمية معرفة خلفية المفسرين قبل أن نقوم بالبحث عن مناهجهم في تفسير القرآن. لذلك حاول الباحث النظر في خلفية الألوسي- رحمه الله- قبل الكلام عن منهجه في تفسير القرآن؛ ليقف على أبرز مراحل حياته وتتضح خلفياته الاجتماعية والعلمية والقافية.

اسمه ونسبه وحياته

وهو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين، أبو الثناء (1217-1270ه/ 1803-1854م)، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد. فرّ إليها جد هذه الأسرة من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد، فنسب إليها (Al-Damshiqi, 2002). ويرجع نسب عائلته إلى سبط الرسول محمد ﷺ فهي عائلة علوية النسب.

ولد رحمه الله بالكرخ قبيل ظهر رابع عشر شعبان (١٢١٧ه - ١٨٠٢م). كان أبوه رئيسا للمدرسين في بغداد، وكان منزله ببغداد قبلة القاصدين منهم للاستفادة والتوجيه، وقد تفتحت عينا شهاب الدين فرأى أباه والعلماء من حوله فسار في طريقهم، وقد لاقى اهتماما كبيرا من والده، فكان ذلك سببا مباشرا في نبوغه، فتلقى العلوم عن مشايخ عصره الذين كان في مقدمتهم أبوه ثم تولى التدريس والتأليف ووعظ وهو ابن ثلاث عشرة، وأكثر من إملاء الخطب والرسائل، والفتاوى والمسائل ،ثم خاض غمار السياسة بمناصرته لداود باشا مساندا له في إصلاحاته ووقوفه معه أثناء الحرب عليه، فدفع شيخنا ثمن هذه الوقفة الصادقة إذ ألقى القبض عليه وأودع السجن إلا أن محنته لم تطل حيث أفرج عنه الولي الجديد رضا باشا وأسند إليه مناصب علمية عديدة من أهمها توليته منصب الإفتاء الذي كان يعد أكبر وظيفة علمية في بغداد و لم يتجاوز يومها الثلاثين عاما، وقد

اشترى دارا واسعة، جعل منها جانبا كبيرا لملاقاة تلاميذه والترحيب بالطلبة الغرباء، مسكنا ومطعما ومـــأوى، وكان الشعراء يقصدونها كل ليلة ليتطارحوا الأشعار على مسمع من المفتي وتلاميـــذه، ثـــم دار الزمـــان دورتـــه عـــلى شيخنا فولى محمد نجيب على العراق بعد رضا باشا، فعزل الشيخ عن الإفتـــاء وضـــيق عليـــه ســـبل حياتـــه كأشـــد مـــا يكون، وهو في هذه الأثناء يكتب تفسيره روح المعاني و لم ينقطـــع عـــن التـــأليف، ثـــم ســـافر إلى الأســـتانة حيـــث لقـــي ترحابا هناك، ثم عاد إلى بغداد بعد أن غاب عنها واحدا وعشرين شهرا، وبقي فيها حتى مرض وتوفي فيهـــا في ٢٥ ذو القعدة ١٢٧٠ هـــ، ودفن رحمه الله تعالى بالقرب من الشيخ معروف الكرخي، وقبره مشهور يُزار، وبلغ عمـــره نحو ثلاث وخمسين سنة. وقد امتدحه ورثاه عدد من الشعراء (Al-Damshiqi, 2002).

حياته العلمية

أثـــر الألوسي في الحركـــة العلمية وكان له دور بارز في النهضة العلمية فقد كان أحد أعلامها ومن ألمـــع رموزهـــا، لدرجـــة أن الأســـتاذ عبـــاس العزاوي وهو من أفضل مؤرخي العراق، قال: "ما نص عليه من أن العصر الحديث في العـــراق يجـــب أن يـــسمى عصر الألوسي، لأنه كان المصباح المضيء في كل اتجاه، حيـــث رفـــع الأســـلوب العلمـــي بتأليفـــه المتـــشعب في النحـــو، والفقه، والتفسير، والتاريخ، كما امتد نفعه إلى تلاميذه الذين نهجوا نهجه، فكان أســـتاذا كبـــيرا لمدرســـة في التـــأليف، ولولاه لتأخرت النهضة العلمية في العراق إلى مدى بعيد" (Al-Bumi, n.d.). كما أن الباحث لم يقف على شيء مكتوب عنـــد أهـــل العلم أو البحث العلمي في هذا الجانب، حتى الذين تناولوا تفسير الألـــوسي بالدراســـة مـــن أمثـــال الـــدكتور محمـــد حسين الذهبي، لم يشيروا إلى أنه تأثر بشيء مما كان في عصره مـــن النهـــضة العلميـــة، ولعلهـــم محقـــون في ذلـــك إذ كيف يتأثر بها وهو من أهم رموزها بل هو صاحب الباع الأطول في وجودها وإنما يذكرون مواقـــف لـــه في تفـــسيره مثل موقفـــه مـــن المخـــالفين لأهـــل الـــسنة والجماعـــة، والمـــسائل الكونيـــة، والمـــسائل النحويـــة، والفقهيـــة، وموقفـــه مـــن الإسرائيليات، والتفسير الإشاري، بل يفهم مما ذكره الدكتور

الـــذهبي في نهايـــة حديثـــه عـــن تفـــسير الألـــوسي أن الألوسي لم يتأثر بشيء من الحالة العلمية والثقافية في عـــصره، وإنـــما هـــو الـــذي كـــان علامـــة في شـــتى العلـــوم (Al-Dhahabi, 2000).

مؤلفاته

1- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية.

2- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب.

3- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة.

4- حاشية شرح القطر.

5- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية.

6- النفحات القدسية في الرد على الإمامية.

7- شرح البرهان في إطاعة السلطان.

8- الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب.

9- شرح القصيدة العينية في مدح الإمام علي رضي الله عنه، لناظمها عبد الباقي العمري.

10- نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول.

11- الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد.

12- نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام.

13- كشف الطرة عن الغرة. وهو مختصر درة الغواص وشرحها.

14- شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم.

15- الفوائد السنية من الحواشي الكلنبوية. وهو في الأدب والمناظرة.

16- شجرة الأزهار ونوار الأزهار.

17- دقائق التفسير.

18- سفرة الزاد لسفرة الجهاد.

19- بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام.

20- شرح سلم العروج. وهو في المنطق.

21- مقامات الألوسي. وهو عبارة عن عدة مقامات حقيقية وخيالية.

سبب في تأليفه كتاب التفسير (روح المعاني)

يعتبر تفسيره هذا من أعظم مؤلفاته شأنا وأجلها قدرا، ولهذا التفسير قصة ذكرها في مقدمة تفسيره، حيث ذكر أنه كثيراً ما خطر له أن يُحرر كتاباً يجمع فيه ما عنده من ذلك، وأنه كان يتردد في ذلك ما كان كتبه وجمعه من تفسير لكتاب الله، إلى أن رأى في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢هـ أن الله جل شأنه أمره بطيّ السماوات والأرض، ورتق فتقها على الطول والعرض، فرفع يداً إلى السماء وخفض الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه في الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعة وثلاثين سنة، وذلك في عهد محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان. وذكر في خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ. وبهذا يكون قد مكث في كتابته ما يقرب من سبع عشرة سنة. ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش من سماعه الخواطر، فعرض الأمر على وزير الوزراء علي رضا باشا فسماه على الفور" روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" (Al-Alusi, 1415H).

المبحث الرابع: المنهج الإشاري في تفسير الألوسي

تبين لنا مما سبق أن تفسير روح المعاني فيه الكثير من التفسير الإشاري مما حدا ببعض العلماء تصنيفه مع كتب التفسير الإشاري، كما عده الدكتور الذهبي من التفسير بالرأي المحمود (Al-Dhahabi, 2000). وهو ما رجحه كل من الدكتور عصام زهد، والدكتور جمال الهوبي، في كتابهما التفسير ومناهج المفسرين. ويرى الباحث أن الدكتور

الذهبي قد أصاب وأجاد عندما صنف هذا التفسير مع التفسير بالرأي المحمود وليس بالتفسير الإشاري على الرغم من وجوده بكثرة فيه. ولأن الألوسي لم يبدأ بالتفسير الإشاري ويتوقف عنده، بل هو يفسر بالمأثور والرأي المحمود، ثم يذكر الإشارات التي يراها مع حرصه على عدم مخالفتها للشريعة وليست على طريقة التفسير الإشاري الباطني الذي يتوقف على ذلك دون الاهتمام بالتفسير الحقيقي للآيات. وننتقل الآن لعرض بعض النماذج من تفسيره الإشاري.

النموذج الأول:

قوله تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (سورة البقرة: 1: 22).

تفسيره الإشاري:

وبعد فسر الألوسي هذه الآية قال: "ومِن باب الإشارة أنه تعالى مثل البدن بالأرض، والنفس بالسماء، والعقل بالماء، وما أفاض على القوابل من الفضائل العلمية والعملية المحصلة بواسطة استعمال العقل والحس، وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بإذن الفاعل المختار، وقد يقال: إنه تعالى لما امتن عليهم بأنه سبحانه خلقهم والذين من قبلهم ذكر ما يرشدهم إلى معرفة كيفية خلقهم فجعل الأرض التي هي فراش مثل الأم التي يفترشها الرجل، وهي أيضاً تسمى فراشاً، وشبه السماء التي علت على الأرض بالأب الذي يعلو على الأم ويغشاها، وضرب الماء النازل من السماء مثلاً للنطفة التي تنزل من صلب الأب وضرب ما يخرج من الأرض من الثمرات مثلاً للولد الذي يخرج من الأم، كل ذلك ليؤنس عقولهم ويرشدها إلى معرفة كيفية التخليق ويعرفها أنه الخالق لهذا الولد والمخرج له من بطن أمه كما أنه الخالق للثمرات ومخرجها من بطون أشجارها ومخرج أشجارها من

بطن الأرض، فإذا وضح ذلك لهم أفردوه بالألوهية وخصوه بالعبادة وحصلت لهم الهداية" (Al-Alusi, 1415H).

لو أمعنا النظر لوجدنا أن الألوسي استعمل منهج التشبيه التمثيلي ليقارن بين شيئين يمتلكان نفس الصفة في تفسيره. ورغم أن هذا التفسير بعيد عن معناه الظاهر لكنه لا يخالف الضوابط التي ذكرناها سابقا. والخلاصة أنه من قبيل التفسير الإشاري المقبول.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. (سورة البقرة: 1: 55-57).

تفسيره الإشاري:

ومن باب الإشارة في الآيات وإذ قلتم لموسى- القلب لَنْ نُؤْمِنَ الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان- فأخذتكم صاعقة الموت- الذي هو الفناء في التجلي الذاتي- وأنتم تراقبون أو تشاهدون- ثم بعثناكم بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله، وظللنا عليكم غمام تجلي الصفات- لكونها حجب شمس الذات المحرقة سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره. (وَأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ) من الأحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة وإذهاب رذائل أخلاق النفس، كالتوكل والرضا وسلوى الحكم والمعارف والعلوم الحقيقية التي يحشرها عليكم ريح الرحمة، والنفحات الإلهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها، فتسلون بذلك السَّلْوى وتنسون من لذائذ الدنيا كل ما يشتهى كُلُوا أي تناولوا وتلقوا هذه الطيبات التي

رزقتموها حسب استعدادكم، وأعطيتموها على ما وعد لكم وَما ظَلَمُونا أي ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات أنفسهم، ولكن كانوا ناقصين حقوق أنفسهم بحرمانها وخسرانها، وهذا هو الخسران المبين (Al-Alusi, 1415H).

وهنا شبه الألوسي طعم المن والسلوى بجمال الأخلاق. ولا نجد تأويله الإشاري لهذه الآية تخالف وتعارض مبدأ الشريعة لا سيما أن فيهما ارتباط وتلازم.

النموذج الثالث:

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (سورة الأعراف: 7: 89-90).

تفسيره الإشاري:

ومن باب الإشارة في الآيات (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) وهي الروح (وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها) وهي القلب لِيَسْكُنَ إِلَيْها أي ليميل إليها ويطمئن فكانت الروح تشم من القلب نسائم نفحات الألطاف (فَلَمَّا تَغَشَّاها) أي جامعها وهو إشارة إلى النكاح الروحاني والصوفية يقولون: إنه سائر في جميع الموجودات ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً في البداية بظهور أدنى أثر من آثار الصفات البشرية في القلب الروحاني. (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) كبرت وكثرت آثار الصفات (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما) لأنهما خافا من تبدل الصفات الروحانية النورانية بالصفات النفسانية الظلمانية لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً للعبودية لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً) بحسب الفطرة من القوى جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما أي جعل أولادهما لله تعالى شركاء فيما آتى أولادهما فمنهم عبد البطن ومنهم عبد الخميصة ومنهم من عبد الدرهم والدينار (Al-Alusi, 1415H).

ونجد أن الألوسي في تفسيره الإشاري لهذه الآية لا يكتفي بما يقوله بل يستند إلى قول من أقوال الصوفية وهو أحد أبناء طرقها ولكنه لا يقول بشيء من أقوالهم الباطنية المنحرفة.

النموذج الرابع

قال الله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (سورة الأنفال: 8: 41).

تفسيره الإشاري:

قال الألوسي: "ومن باب الإشارة هذه الآية (وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ.....وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ) طبقه بعض العارفين على ما في الأنفس فقال: (وَاعْلَمُوا) أي أيها القوى الروحانية (أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) من العلوم النافعة (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) وهي كلمة التوحيد التي هي الأساس الأعظم للدين (وَلِلرَّسُولِ) الخاص وهو القلب (وَلِذِي الْقُرْبى) الذي هو السر (وَالْيَتامى) من القوة النظرية والعملية (وَالْمَساكِينِ) من القوى النفسانية (وَابْنِ السَّبِيلِ) الذي هو النفس السالكة الداخلة في الغربة السائحة في منازل السلوك النائية عن مقرها الأصلي باعتبار التوحيد التفصيلي والأخماس الأربعة الباقية بعد هذا الخمس من الغنيمة تقسم على الجوارح والأركان والقوى الطبيعية (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ) تعالى الإيمان الحقيقي جمعا (وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ) وقت التفرقة بعد الجمع تفصيلا (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ) من فريقي القوى الروحانية والنفسانية عند الرجوع إلى مشاهدة التفصيل في الجمع (وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيتصرف فيه حسب مشيئته وحكمته" .(Al-Alusi, 1415H)

والملاحظ هنا، أن الشيخ الألوسي ينقل ما قاله من التفسير الإشاري عن بعض العارفين الصوفية ووافق ما شعر به في نفسه التي قد تكون سمتا له في هذه اللحظة.

الخاتمة ونتائج البحث

ومن خلال الآيات القرآنية المدروسة في هذا البحث، عرفنا المنهج الإشاري وموقف الألوسي منه حيث أنه قبِل واعتمد هذا المنهج في تفسيره أحيانا وأحيانا نقله من الصوفية. وخلاصة البحث فيما يلي:

1- التفسير الصوفي أي التفسير الإشاري منه ما هو مقبول وهو ما وافق الشريعة ومنه ما هو مردود وهو ما خالفها

2- اختلف العلماء في قبول التفسير الإشاري ورده ولكل منهم أدلته. والذي يرجحه الباحث أن كل ما لا يخالف الشريعة ولا يقدمه صاحبه على التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي الجائز فهو مقبول.

3- وحسب اطلاع الباحث فإن الألوسي قد التزم بضوابط التفسير الإشاري التي وضعها العلماء ولا نعلم –حسب اطلاع الباحث– أنه يخالف الشريعة.

4- إن تفسير الألوسي يعتبر من التفسير بالرأي المحمود وليس تفسيرا إشاريا مذموما على الرغم من إكثاره منه أو من النقل عن العارفين، وأحيانا نقلا عن بعض المتصوفة.

References

Al-Alusi, S. a.-D.-H. (1415H). *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab'i al-Mathani* (Vols. 1, 5). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Bani, A. '.-R.-D. (n.d.). *Da'if al-Jami' al-Saghir wa Ziyadatihi.* n.c.: Al-Maktab al-Islami.

Al-Bukhari, M. b. (1422H). *Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasulillah Sallallahu 'alayhi wa Sallam wa Sunanihi wa Ayyamihi* (Vol. 6). n.c.: Dar Tawq al-Najah.

Al-Bumi, M. R. (n.d.). *Al-Nahdat al-Islamiyyah fi Sir A'lamuha al-Mu'asirin* (Vol. 2). Damsyik: Dar al-Qalam.

Al-Damshiqi, K. b.-Z. (2002). *Al-A'lam* (Vol. 7). n.c.: Dar al-'Ilm li al-Malayin.

Al-Dhahabi, M. a.-S. (2000). *Al-Tafsir wa al-Mufassirin* (Vol. 1). Kaherah: Maktabat Wahbat.

Al-Jahiz, A. '.-L.-K.-B. (1423H). *Al-Bayan wa al-Tabyin* (Vol. 1). Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Jawziyyah, M. b. (n.d.). *Al-Tibyan fi Aqsam al-Qur'an.* Beirut: Dar al-Ma'rifah.

Al-Jurjani, '. b.-S.-S. (n.d.). *Mu'jam al-Ta'rifat.* Kaherah: Dar al-Fadilah.

Al-Khalidi, S. '.-F. (1433H). *Ta'rif al-Darisin bi Manahij al-Mufassirin.* Damsyik: Dar al-Qalam.

Almaany. (n.d.). *Ta'rif wa Ma'na al-Ishari fi Mu'jam al-Ma'ani al-Jami' - Mu'jam 'Arabi 'Arabi.* Retrieved from Almaany: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/الإشاري/

Al-Qasim, S. b.-L.-S.-T. (1415H). *Al-Mu'jam al-Kabir* (Vol. 10). Riyadh: Dar al-Sami'i.

Al-Qattan, M. b. (1421H). *Mabahith fi 'Ulum al-Qur'an.* n.c.: Kitabat al-Ma'arif li al-Nashr wa al-Tawzi'.

Al-Rumi, F. b.-R. (1407H). *Ittijahat al-Tafsir fi al-Qur'an al-Rabi' 'Ashar* (Vol. 1). Arab Saudi: Ri'asat Idarat al-Buhuth al-'Ilmiyyah wa al-Ifta' wa al-Da'wat wa al-Irshad.

Al-Shatibi, I. b.-L.-G. (1417H). *Muwafaqat* (Vol. 4). n.c.: Dar Ibn 'Affan.

Al-Tirmidhi, A. '.-D. (1395H). *Jami' al-Tirmidhi* (Vol. 5). Mesir: Sharikat Maktabat wa Mataba'at Mustafa al-Babi al-Halbi.

Al-Zurqani, M. '.-A. (n.d.). *Manahil al-'Urfan fi al-Qur'an* (Vol. 2). n.c.: Matba'at 'Isa al-Babi al-Halbi wa Shurakahu.

Hasan, M. A. (1421H). *Al-Manar fi 'Ulum al-Qur'an ma'a Madkhal fi Usul al-Tafsir wa Masadirihi.* Beirut: Mu'assasah al-Risalah

Hibban, I. H. (1414 H). *Sahih Ibn Hibban bi Tartib Ibn Balban* (Vol. 1). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.

Ma'bad, M. A. (1426H). *Nafahat min 'Ulum al-Qur'an.* Kaherah: Dar al-Salam.